صفورا (امرأة موسى)

(الفتاة المثالية)

obeikandl.com

obeikandl.com

صفورا (امرأة موسى)
(الفتاة المثالية)

من هي؟

هي صفورا بنت شعيب بن نوفل بن مدين وهي الفتاة الحيية الأريبة صاحبة الطهر والاحتشام والتي ارتضاها الله تعالىٰ خليلة لكليمه موسىٰ عليه السلام.

كانت صفورا تعمل وأختها برعي الأغنام حيث أن أباهما كان شيخاً كبيرًا لا يقوىٰ علىٰ العمل فكانت وأختها تعانيان من رعي الغنم، ومن مزاحمة الرجال علىٰ الماء حين تذهبان لسقي الغنم من البئر، وتتأذيان من الاحتكاك الذي لابد منه لكل من تزاول أعمال الرجال.

مروءة نادرة:

وفي أحد الأيام ذهبت صفورا وأختها لسقي الغنم وكعادتهما كانتا تمنعان غنمهما عن ورود الماء فلا تسقيان حتىٰ يسقىٰ الرعاء من الرجال وينتهي الزحام.

وإذا برجل طويل، ضخم البنية، حافي القدمين، غريب عن المدينة يبدو عليه إعياء السفر يقدم بالقرب من الماء فلما رآهما نظر إليهما متعجباً.. إذ إن الأولىٰ عند ذوي المروءة أن تسقي المرأتان وتصدرا أغنامهما أولاً وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما؛ فتقدم إليهما ليسألهما عن أمرهم الغريب

(قال: ما خطبكما؟ قالتا: لا نسقي حتىٰ يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير)

فأطلعتاه علىٰ سبب انزوائهما وتأخرهما وذودهما لغنمهما عن الورود، فثارت نخوة موسىٰ عليه السلام ولم يسترح المسافر المنهك المكدود، بل تقدم ليسقي المرأتين أولاً كما يجب أن يفعل الرجال ذوو الشهامة وهو غريب في أرض لا يعرفها ولا سند له فيها ولا ظهير وهو متعب قادم من سفر طويل بلا زاد ولا استعداد ولكن هذا كله لا يقعد به عن تلبية دواعي المروءة والنجدة والمعروف **(فسقىٰ لهما)** مما يشهد بنبل هذه النفس التي صنعت علىٰ عين الله، كما يشي بقوته التي ترهب حتىٰ وهو في إعياء

السفر الطويل، ولعلها قوة نفسه التي أوقعت في قلوب الرعاة رهبته أكثر من قوة جسمه.

دعوة كرم وإحسان

انصرفت الفتاتان وتول موسىٰ إلىٰ الظل ليستريح من حرارة الشمس يدعو ربه ويناجيه، وإذا بإحداهما تعود إلىٰ موسىٰ لتقدم له دعوة من أبيها لاستضافته وإيوائه وإكرامه ليجزيه أجر ما سقىٰ لهما وأحسن إليهما.

وقد وصف القرآن حالة الفتاة (**صفورا**) كأننا نراها رأي العين فقال:

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:25] ، فالفتاة تمشي علىٰ استحياء مشية الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقىٰ الرجال، حيث لا تبذل ولا تبرج ولا إغواء – جاءته تبلغه الدعوة في أقصر لفظ وأدله.. فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح لا تلجلج ولا تعثر ولا ربكة، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم لكنها لثقتها بطهارتها لا تضطرب إنما تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب ولا تزيد.

وقال الآلوسي في تفسير هذه الآية: أنها أسندت الدعوة إلىٰ أبيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة فيه من الدلالة علىٰ كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفىٰ

وتابع (**الآلوسي**).. أن موسىٰ إنما أجاب المستدعية من غير تلعثم وليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر برأيه، لا طمعاً بما صرحت به من الأجر.

لقاء موسى عليه السلام بالشيخ

وأخرج ابن عساكر عن أبي حازم قال: « لما دخل موسىٰ علىٰ شعيب إذا هو بالعشاء فقال له شعيب: كل

قال موسىٰ: أعوذ بالله تعالىٰ

قال: ولِمَ؟ ألست جائع؟

قال: بلىٰ ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وإنا من أهل البيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً

قال: لا والله ولكنها عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس

موسىٰ فأكل.

يقول تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:25] ، فقد كان موسىٰ في حاجة إلىٰ الأمن، كما كان في حاجة إلىٰ الطعام والشراب، فأعطاه الشيخ الوقور الأمان وألقىٰ في قلبه الطمأنينة وذكر له ألا سلطان لهم علىٰ مدين فلن يصلوا لمن فيها بأذىٰ أو ضرر.

الزواج المبارك:

رأت صفورا من قوة موسىٰ عليه السلام ما يهابه الرعاة فيفسحون له الطريق ويسقي لهما وهو غريب، والغريب ضعيف مهما اشتد، كذلك رأت من أمانته ما يجعله عف اللسان والنظر حين توجهت لدعوته مما جعلها تشير علىٰ أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك، وهو قوي علىٰ العمل، أمين علىٰ المال، فالأمين علىٰ العرض هكذا أمين علىٰ ما سواه، وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب ولا تخشىٰ سوء الظن والتعمة فهي بريئة النفس نظيفة.. الخ

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:26]

واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسىٰ ثقة متبادلة، وميلاً فطرياً سليمًا صالحاً لبناء أسرة.

والقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لا شك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد ولم تلوث ولم تنحرف عن فطرة الله، فجمع الرجل بين الغايتين فعرض علىٰ موسىٰ أن يزوجه إحدىٰ ابنتيه في مقابل أن يخدمه ويرعىٰ ماشيته ثماني سنوات فإن زادها إلىٰ عشر فهو تفضل منه لا يلزم به

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص:27].

وهكذا عرض الشيخ ابنته علىٰ الرجل في غير تحرج ولا إلتواء فهو يعرض نكاحاً لا يخجل منه.

والتصنع والتكلف مما يشاهد في البيئة التي تنحرف عن سواء الفطرة وتخضع

لتقاليد مصطنعة باطلة سخيفة تمنع الوالد أو ولي الأمر من التقدم لمن يرتضي خلقه ودينه، وتجعل من غير اللائق أن يجيء العرض من الناحية التي فيها المرأة.

في حين أن هذه البيئة المنحرفة تسمح بلقاء الفتيان والفتيات واختلاطهم وتكشف بعضهم لبعض في غير خطبة أو نكاح فأما حينما يذكر النكاح فيهبط الخجل المصطنع وتمتنع المصارحة والبساطة.

فقد عرض الشيخ علىٰ موسىٰ ذلك العرض ووعده ألا يشق عليه ولا يتعبه في العمل راجياً بمشيئة الله أن يجده من الصالحين في معاملته ووفائه.

وقبل موسىٰ العرض وأمضىٰ العقد في وضوح ودقة.

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص:28].

وقد أتم موسىٰ السنوات العشر علىٰ أكمل وجه وعاش هذه السنوات آمناً مطمئناً سعيداً بزوجته صفورا ذات الخلق والآدب.

وكانت صفورا لا تألوا جهداً في إسعاد زوجها، تطيعه إذا أمرها وتنتهي عن كل ما ينهاها، وتجعل رضاه مقدماً علىٰ رضاها.

رحلة العودة إلى مصر:

لما وفىٰ موسىٰ عليه السلام بالأجل الأتم وهو عش سنوات انطلق مع زوجه الحامل صفورا إلىٰ مصر بعد أن ودع حماه وكان زواجه قد أثمر ولدين خلال الأجل المشروط.

كانت الرحلة شاقة مجهدة صبرت فيها صفورا مع زوجها وتحملت فراق أهلها لتشارك زوجها رحلة جهاده حيث أرسله الله تعالىٰ إلىٰ فرعون فكانت معه تقف بجواره تؤازره وتسانده في أرض الكنانة مصر، فرضي الله عنها وأرضاها.

خواطر وعبر:

1 – تبين لنا القصة مسألة خروج المرأة واختلاطها بالرجال في ظل الضوابط الشرعية.

2 – خروج المرأة للعمل من أجل تحقيق الذات وهمٌ يتصوره البعض، فتحقيق الذات يكون داخل البيت وخارجه، ومن تفشل داخل بيتها تفشل خارجه .

obeikandl.com

3- ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:23]. خرج الفتاتان ولم تتكاسلا ولم تستسلما للظروف التي أحاطت بهما.

4- لم تمانع الفتاتان في الرد علىٰ موسىٰ عليه السلام عندما سألهما (**ما خطبكما**) فلم تتردد إحداهما أو تتلجلج بحجة أنها لم تتعود مخاطبة الرجال، ولكن الرد كان فيه ثقة بالنفس مع الاحترام والأدب الجم.

5- مشية الفرد تدل علىٰ طبيعة شخصيته، فهناك مشية فيها كبر وفخر وأخرىٰ بها تواضع وإيمان، هناك مشية تدل علىٰ الميوعة والتبذل وأخرىٰ تنم عن الحياء والأدب والتقوىٰ، وقد حرص القرآن دائمًا علىٰ وصف مشية المؤمن ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:63]، وها هو يخص المرأة في مشيتها وتكون صفورا هي المثل الأعلىٰ لبنات العصر، فليتقين الله في مشيتهن، ولتنتبه كل منهن أن مشيتها تفضح ما في داخل نفسها.

6- كانت صفورا ذات عقل وحكمة، ولها نظرة ثاقبة، فقد فهمت من أدب موسىٰ - عليه السلام - أنه شخص محترم، فسمحت له بمساعدتهن، ثم وصفته بعد ذلك لأبيها بأنه قوي أمين، فيا لها من ذكية أريبة شديدة الملاحظة.

7- البنت الصالحة تكون صريحة مع أبويها، قريبة منهما، فقد أبدت صفورا لأبيها إعجابها بموسىٰ دون تخوف بكل جرأة وشجاعة وأدب وصراحة.

8- وقد تفهم الأب الموقف سريعًا ، وقام بواجبه تجاه ابنته؛ رغم أنها لم تلوح بالزواج؛ فما أجمله من تقارب وتفاهم بين الأب وبناته ، وما أحوج بنات اليوم إلىٰ آبائهن.

9- كانت صفورا تعيش مشكلات البيت، وتبحث عن حلول مناسبة واستئجار موسىٰ كان وجهة نظر صائبة احترمها الأب وسارع في تنفيذها فهي شخصية مسئولة.

10- لا مانع من أن يعرّض الأب لخطبة ابنته في عزة لا انكسار فيها ولا استعطاف.

11- يفكر الاب في إمكانيات الخطيب العقلية والخلقية، وقد يتغاضىٰ قليلاً عن الإمكانيات المادية، طالما لمس فيه التقوىٰ والصلاح والقدرة علىٰ الكسب والإنفاق.

12- تصرف الأب كان حكيمًا، حيث استأجر موسىٰ ثمان سنوات، فهو لا يعطىٰ ابنته مجانًا، كما أن هناك مرونة في الاتفاق (**فإن أتممت عشرًا فمن عندك**) وهناك كرم ونبل أخلاق من موسىٰ عليه السلام فقد قضىٰ السنوات العشر كاملة.

13-وقد اطمأنّ الأب الكريم إلىٰ نبل وصدق زوج ابنته خلال السنوات العشر، فلتذهب إذن معه في أي مكان يتوجه إليه.

14- شاركت صفورا زوجها في رحلة عمره الشاقة الطويلة، والتي بدأت برحيله إلىٰ مصر – وكانت حاملاً – ووقفت بجانبه، وعاشت معه لحظات البعثة والتكاليف والأحمال الثقيلة، كذا عاشت معه لحظات القرب والود؛ حيث كلم رب العالمين، وقد أشار إليها القرآن علىٰ أنها الأهل كلهم (**ولما سار بأهله**) فآمنت به وصدقته، وأكملت معه مشوار الكفاح مع فرعون، ثم خرجت معه من مصر.

ونتوقع أن تكون قد انضمت إلىٰ الأسرة الكريمة وأصبحت فردًا من أفرادها، وجزءا منها لا يتجزأ.

وهكذا كافحت وناضلت وكانت غربتها في سبيل الله.

* * *

obeikandl.com